دعبل الخزاعي
وشعره في الغدير

تأليف
العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني

دعبل الخزاعي

الشهيد 246 هـ

تجاوبن بالأرنان والزفرات * نوائح عجم اللفظ والنطقات

يخبرن بالأنفاس عن سر أنفس * أسارى هوى ماض وآخر آت

فأسعدن أو أسعفن حتى تقوضت (1) * صفوف الدجا بالفجر منهزمات

على العرصات الخاليات من المها * سلام شج صب على العرصات (2)

فعهدي بها خضر المعاهد مألفا * من العطرات البيض والخفرات (3)

ليالي يعدين الوصال على القلا * ويعدى تدانينا على الغربات

وإذ هن يلحظن العيون سوافرا * ويسترن بالأيدي على الوجنات

وإذ كل يوم لي بلحظي نشوة * يبيت بها قلبي على نشوات

فكم حسرات هاجها بمحسر (4) * وقوفي يوم الجمع من عرفات

ألم تر للأيام ما جر جورها * على الناس من نقص وطول شتات؟!

ومن دول المستهزئين ومن غدا * بهم طالبا للنور في الظلمات

فكيف ومن أنى بطالب زلفة * إلى الله بعد الصوم والصلوات؟!؟!

سواحب أبناء النبي ورهطه * وبغض بني الزرقاء والعبلات

وهند وما أدت سمية وابنها * أولوا الكفر في الاسلام والفجرات

هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه * ومحكمه بالزور والشبهات

ولم تك إلا محنة قد كشفتهم * بدعوى ظلال من هن وهنات

تراث بلا قربى وملك بلا هدى * وحكم بلا شورى بغير هدات

---

(1) تقوضت الصفوف: انتقضت وتفرقت.

(2) المها: البقرة الوحشية. الصب: العاشق وذو الولع الشديد.

(3) خفرت الجارية: استحيت أشد الحياء.

(4) وادي محسر بكسر السين المشددة: حد " منى " إلى جهة " عرفة ".

رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرة * وردت أجاجا طعم كل فرات

وما سهلت تلك المذاهب فيهم * على الناس إلا بيعة الفلتات

وما قيل أصحاب السقيفة جهرة * بدعوى تراث في الضلال نتات

ولو قلدوا الموصى إليه أمورها * لزمت بمأمون عن العثرات

أخي خاتم الرسل المصفى من القذى * ومفترس الأبطال في الغمرات

فإن جحدوا كان " الغدير " شهيده * وبدر واحد شامخ الهضبات

وآي من القرآن تتلى بفضله * وإيثاره بالقوت في اللزيات

وغر خلال أدركته بسبقها * مناقب كانت فيه مؤتنفات (1)

(القصيدة 121 بيتا)

* (ما يتبع الشعر) *

من كلمات أعلام العامة

1 - قال أبو الفرج في الأغاني 18 ص 29: قصيدة دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات (2)

من أحسن الشعر وفاخر المدايح المقولة في أهل البيت عليهم السلام، قصد بها علي ابن موسى الرضا عليه السلام بخراسان قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال لي: أنشدني شيئا مما أحدثت. فأنشدته:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات

حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدوا إلي واتريهم * أكفا عن الأوتار منقبضات

قال: فبكى حتى أغمي عليه وأومأ إلى الخادم كان على رأسه: أن اسكت. فسكت فمكث ساعة ثم قال لي: أعد. فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضا فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى وأومأ الخادم إلي: أن اسكت. فسكت فمكث ساعة أخرى ثم قال لي: أعد. فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها. فقال لي: أحسنت - ثلاث مرات -

---

(1) أنف كل شئ: أوله. وروض أنف: ما لم يرعه أحد: كأس أنف: لم يشرب بها. المستأنف: ما لم يسبق إليه.

(2) هو البيت الثلاثون من القصيدة وتسمى به.

ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن دفعت إلى أحد بعد وأمر لي من في منزله بحلي كثير أخرجه إلى الخادم، فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم إشتراها مني الشيعة فحصل لي مائة ألف درهم فكان أول مال اعتقدته (1) قال ابن مهرويه: وحدثني حذيفة بن محمد: أن دعبلا قال له: إنه استوهب من الرضا عليه السلام ثوبا قد لبسه ليجعله في أكفانه فخلع جبة كانت عليه فأعطاه إياها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها منه غصبا وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل وإلا فأنت أعلم.

فقال لهم: إني والله لا أعطيكم إياها طوعا ولا تنفعكم غصبا وأشكوكم إلى الرضا عليه السلام فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين ألف الدرهم وفرد كم من بطانتها، فرضي بذلك فأعطوه فردكم فكان في أكفانه وكتب قصيدته:

مدارس آيات خلت من تلاوة * . . . . . .

فيما يقال على ثوب وأحرم فيه وأمر بأن يكون في أكفانه (2)

وروى في ص 39 عن دعبل قال: لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة فإني لفي ذلك إذ سمعت والباب مردود علي: السلام عليكم ورحمة الله انج يرحمك الله. فاقشعر بدني من ذلك ونالني أمر عظيم فقال لي: لا ترع عافاك الله فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن طرء إلينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات

فأحببت أن أسمعها منك. قال فأنشدته إياها فبكى حتى خر، ثم قال: رحمك الله ألا أحدثك حديثا يزيد في نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك؟! قلت: بلى. قال مكثت حينا أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام فصرت إلى المدينة فسمعته يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: علي وشيعته هم الفائزون. ثم ودعني لينصرف فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل. قال: أنا ظبيان

---

(1) في معاهد التنصيص 1 ص 205، عيون أخبار الرضا ص 280.

(2) وذكر في معجم الأدباء 4 ص 196، ومعاهد التنصيص 1 ص 205، وعصر المأمون 3.

بن عامر (1).

2 - قال أبو إسحاق القيرواني الحصري المتوفى سنة 413 في " زهر الآداب " 1 ص 86: كان دعبل مداحا لأهل البيت عليهم السلام كثير التعصب لهم والغلو فيهم وله المرثية المشهورة وهي من جيد شعره وأولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات

ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي الثفنات

قفا نسأل الدار التي خف أهلها * متى عهدها بالصوم والصلوات؟!

وأين الأولى شطت بهم غربة النوى * أفانين في الآفاق مفترقات؟!

أحب قصي الدار من أجل حبهم * وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي

3 - قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه 5 ص 234: ثم إن المأمون لما ثبتت قدمه في الخلافة وضرب الدنانير باسمه أقبل بجمع الآثار في فضايل آل الرسول فتناهى إليه فيما تناهى من فضائلهم قول دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات

فما زالت تردد في صدر المأمون حتى قدم عليه دعبل (2) فقال له: أنشدني قصيدتك التائية ولا بأس عليك ولك الأمان من كل شيئ فيها فإني أعرفها وقد رويتها إلا أني أحب أن أسمعها من فيك. قال: فأنشده حتى صار إلى هذا الموضع:

ألم تر أني مذ ثلاثين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات

فآل رسول الله نحف جسومهم * وآل زياد غلظ القصرات

بنات زياد في الخدور مصونة * وبنت رسول الله في الفلوات

---

(1) وذكره صاحب معاهد التنصيص 1 ص 205.

(2) ومن هنا يوجد في الأغاني 18 ص 58، وزهر الآداب 1 ص 86، ومعاهد التنصيص 1 ص 205، والإتحاف 165.

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم * أكفا عن الأوتار منقبضات

فلو لا الذي أرجوه في يوم أوغد * تقطع نفسي إثرهم حسرات

فبكى المأمون حتى اخضلت لحيته وجرت دموعه على نحره، وكان دعبل أول داخل عليه وآخر خارج من عنده.

4 - قال ياقوت الحموي في " معجم الأدباء " 4 ص 6 19: قصيدته التائية في أهل البيت من أحسن الشعر، وأسنى المدايح قصد بها علي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان [وذكر حديث البردة وقصتها المذكورة ثم قال:] ويقال: إنه كتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في أكفانه، ونسخ هذه القصيدة مختلفة في بعضها زيادات يظن (1) أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة وإنا موردون ما صح منها:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالركن والتعريف والجمرات

ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي الثفنات

ديار عفاها كل جون مبادر * ولم تعف للأيام والسنوات

قفا نسأل الدار التي خف أهلها * متى عهدها بالصوم والصلوات؟!

وأين الأولى شطت بهم غربة النوى * أفانين في الآفاق مفترقات؟!

هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا * وهم خير قادات وخير حماة

وما الناس إلا حاسد ومكذب * ومضطغن ذو إحنة وترات

إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر * ويوم حنين أسبلوا العبرات

قبور بكوفان وأخرى بطيبة * وأخرى بفخ نالها صلواتي

وقبر ببغداد لنفس زكية * تضمنها الرحمن في الغرفات

فأما المصمات التي لست بالغا * مبالغها مني بكنه صفات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائما * يفرج منها الهم والكربات

نفوس لدى النهرين من أرض كربلا * معرسهم فيها بشط فرات

---

(1) يأتي في آخر ما يتبع الشعر: إن هذا الظن إثم ولا يغني من الحق شيئا.

تقسمهم ريب الزمان كما ترى * لهم عقرة مغشية الحجرات

سوى أن منهم بالمدينة عصبة * مدى الدهر أضناه من الأزمات

قليلة زوار سوى بعض زور * من الضبع والعقبان والرخمات

لهم كل حين نومة بمضاجع * لهم في نواحي الأرض مختلفات

وقد كان منهم بالحجاز وأهلها * مغاوير يختارون في السروات

تنكب لأواء السنين جوارهم * فلا تصطليهم جمرة الجمرات

إذا وردوا خيلا تشمس بالقنا * مساعر جمر الموت والغمرات

وإن فخروا يوما أتوا بمحمد * وجبريل والفرقان ذي السورات

ملامك في أهل النبي فإنهم * أحباي ما عاشوا وأهل ثقاتي

تخيرتهم رشدا لامري فإنهم * على كل حال خيرة الخيرات

فيا رب زدني من يقيني بصيرة * وزد حبهم يا رب في حسناتي

بنفسي أنتم من كهول وفتية * لفك عناة أو لحمل ديات

أحب قصي الرحم من أجل حبكم * وأهجر فيكم أسرتي وبناتي

وأكتم حبيكم مخافة كاشح * عتيد لأهل الحق غير موات

لقد حفت الأيام حولي بشرها * وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

ألم تر إني مذ ثلاثين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات؟!

أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات

فآل رسول الله نحف جسومهم * وآل زياد حفل القصرات (1)

بنات زياد في القصور مصونة * وآل رسول الله في الفلوات

إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم * أكفا من الأوتار منقبضات

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد * لقطع قلبي إثرهم حسراتي

خروج إمام لا محالة خارج * يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل * ويجزي على النعماء والنقمات

سأقصر نفسي جاهدا عن جدالهم * كفاني ما ألقى من العبرات

---

(1) الحفل من الحافل: الممتلئ. القصرات جمع قصرة: أصل العنق.

فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري * فغير بعيد كل ما هو آت

فإن قرب الرحمن من تلك مدتي * وأخر من عمري لطول حياتي

شفيت ولم أترك لنفسي رزية * ورويت منهم منصلي وقناتي

أحاول نقل الشمس من مستقرها * وأسمع أحجارا من الصلدات

فمن عارف لم ينتفع ومعاند * يميل مع الأهواء والشبهات

قصاراي منهم أن أموت بغصة * تردد بين الصدر واللهوات

كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها * لما ضمنت من شدة الزفرات

5 - أخرج شيخ الاسلام أبو إسحاق الحموي (المترجم له ج 1 ص 123) عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعي قال: أنشدت قصيدة لمولاي علي الرضا رضي الله عنه:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات

قال لي الرضا: أفلا الحق البيتين بقصيدتك؟! قلت: بلى يا بن رسول الله؟ فقال:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة * ألحت بها الأحشاء بالزفرات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائما * يفرج عنا الهم والكربات (1)

قال دعبل: ثم قرأت باقي القصيدة فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة واقع * يقوم على اسم الله والبركات

بكى الرضا بكاء شديدا ثم قال: يا دعبل نطق روح القدس بلسانك أتعرف من هذا الإمام؟! قلت: لا إلا أني سمعت خروج إمام منكم يملأ الأرض قسطا وعدلا.

فقال: إن الإمام بعدي إبني محمد وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم، وهو المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت جورا وظلما، وأما متى يقوم فإخبار عن الوقت لقد حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة. ويأتي هذا الحديث عن الشبراوي أيضا.

6 - قال أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفى 652 في " مطالب السئول " ص

---

(1) ألحقهما الإمام عليه السلام بعد قول دعبل:

وقبر ببغداد لنفس زكية * تضمنها الرحمان في الغرفات

85 قال دعبل: لما قلت: مدارس آيات. قصدت بها أبا الحسن علي بن موسى الرضا وهو بخراسان ولي عهد المأمون فأحضرني المأمون وسألني عن خبري ثم قال لي:

يا دعبل؟ أنشدني - مدارس آيات خلت من تلاوة - فقلت: ما أعرفها يا أمير المؤمنين؟

فقال: يا غلام أحضر أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام؟ فلم يكن إلا ساعة حتى حضر فقال له: يا أبا الحسن؟ سألت دعبلا من - مدارس آيات خلت من تلاوة - فذكر إنه لا يعرفها. فقال لي أبو الحسن: يا دعبل؟ أنشد أمير المؤمنين؟ فأخذت فيها فأنشدتها فاستحسنها فأمرني بخمسين ألف درهم. وأمر لي أبو الحسن الرضا بقريب من ذلك فقلت: يا سيدي؟ إن رأيت أن تهبني شيئا من ثيابك ليكون كفني. فقال:

نعم. ثم دفع لي قميصا قد ابتذله ومنشفة لطيفة، وقال لي: إحفظ هذا تحرس به.

ثم دفع ذو الرياستين أبو العباس الفضل بن سهل وزير المأمون صلة وحملني على برذون أصفر خراساني، وكنت أسايره في يوم مطير وعليه ممطر خز وبرنس فأمر لي به ودعا بغيره جديد ولبسه وقال: إنما آثرتك باللبيس لأنه خير الممطرين. قال: فأعطيت به ثمانين دينارا فلم تطب نفسي ببيعه، ثم كررت راجعا إلى العراق فلما صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا فكان ذلك اليوم يوما مطيرا فبقيت في قميص خلق وضر شديد متأسف من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة ومفكر في قول سيدي الرضا إذ مر بي واحد من الأكراد الحرامية تحته الفرس الأصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر ووقف بالقرب مني ليجتمع إليه أصحابه وهو ينشد - مدارس آيات خلت من تلاوة - ويبكي فلما رأيت ذلك عجبت من لص من الأكراد يتشيع ثم طمعت في القميص والمنشفة فقلت: يا سيدي. لمن هذه القصيدة؟! فقال: وما أنت وذلك؟! ويلك. فقلت: لي فيه سبب أخبرك به. فقال: هي أشهر بصاحبها من أن تجهل. فقلت: من؟! قال: دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل محمد جزاه الله خيرا. قلت له: يا سيدي فأنا والله دعبل وهذه قصيدتي. الحديث.

وقال ص 86 بعد ذكر الحديث ما لفظه: فانظر إلى هذه المنقبة وما أعلاها و ما أشرفها وقد يقف على هذه القصة بعض الناس ممن يطالع هذا الكتاب ويقرأه فتدعوه نفسه إلى معرفة هذه الأبيات المعروفة ب مدارس آيات - ويشتهي الوقوف

عليها وينسبني في إعراضي عن ذكرها إما أنني لم أعرفها، أو: أنني جهلت ميل النفوس حينئذ إلى الوقوف عليها فأحببت أن أدخل راحة على بعض النفوس وأن أدفع عني هذا النقص المتطرق إلى بعض الظنون فأوردت منها ما يناسب ذلك وهي:

ذكرت محل الربع من عرفات * وأرسلت دمع العين بالعبرات

وفل عرى صبري وهاج صبابتي * رسوم ديار أقفرت وعرات

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومهبط وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات

ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي الثفنات (1)

ديار عفاها جور كل منابذ * ولم تعف بالأيام والسنوات

ودار لعبد الله والفضل صنوه * سليل رسول الله ذي الدعوات

منازل كانت للصلاة وللتقى * وللصوم والتطهير والحسنات

منازل جبريل الأمين يحلها * من الله بالتسليم والزكوات

منازل وحي الله معدن علمه * سبيل رشاد واضح الطرقات

منازل وحي الله ينزل حولها * على أحمد الروحات والغدواة

فأين الأولى شطت بهم غربة النوي * أفانين في الأقطار مفترقات؟!

هم آل ميراث النبي إذا انتموا * وهم خيرات سادات وخير حمات

مطاعيم في الاعسار في كل مشهد * لقد شرفوا بالفضل والبركات

إذا لم ننال الله في صلواتنا * بذكرهم لم يقبل الصلوات

أئمة عدل يقتدى بفعالهم * وتؤمن منهم زلة العثرات

فيا رب زد قلبي هدى وبصيرة * وزد حبهم يا رب في حسناتي

ديار رسول الله أصبحن بلقعا * ودار زياد أصبحت عمرات

وآل رسول الله غلت رقابهم * وآل زياد غلظ القصرات

---

(1) ذكر الثعالبي في ثمار القلوب ص 233 بيتين من القصيدة أحدهما: مدارس آيات. والثاني هذا البيت وقال: (ذو الثفنات) كان يقال لكل من علي بن الحسين بن علي (ع) وعلي بن عبد الله بن عباس: ذو الثفنات. لما على أعضاء السجود منهما من السجدات الشبيهة بثفنات الإبل وذلك لكثرة صلاتهما.

وآل رسول الله تدمى نحورهم * وآل زياد زينوا الحجلات

وآل رسول الله تسبى حريمهم * وآل زياد آمنوا السريات

وآل زياد في القصور مصونة * وآل رسول الله في الفلوات

فيا وارثي علم النبي وآله * عليكم سلام دائم النفحات

لقد آمنت نفسي بكم في حياتها * وإني لأرجو الأمن من بعد مماتي

7 - ذكر شمس الدين سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى 654 في تذكرته ص 130 من القصيدة 29 بيتا وفيها ما لم يذكره الحموي في " معجم الأدباء " وذكرت في هامش التذكرة القصيدة من أولها إلى - مدارس آيات -.

8 - ذكر صلاح الدين الصفدي المتوفى 764 في " الوافي بالوفيات " 1 ص 156.

طريق رواية القصيدة عن عبيد الله (1) بن جخجخ النحوي عن محمد بن جعفر بن لنكك أبي الحسن البصري النحوي عن أبي الحسين العباداني عن أخيه عن دعبل. وهذا الطريق ذكره جلال الدين السيوطي في " بغية الوعاة " ص 94.

9 - روى الشبراوي الشافعي المتوفى 1172 في " الإتحاف " ص 165 عن الهروي قال: سمعت دعبلا يقول: لما أنشدت مولاي الرضا قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومهبط وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج * يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل * ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاء شديدا ثم رفع رأسه إلي فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام؟! ومتى يقوم؟!

فقلت: لا يا سيدي؟ إلا أني سمعت بخروج إمام منكم (إلى آخر ما مر عن الحموي) (2)

وفي " الإتحاف " ص 161: نقل الطبري في كتابه عن أبي الصلت الهروي قال:

دخل الخزاعي على علي بن موسى الرضا بمرو فقال: يا بن رسول الله؟ إني قلت فيكم

(1) قال ياقوت الحموي: كان ثقة صحيح الكتابة.

(2) وذكره الصدوق في العيون. 370، والأمالي 210، والطبرسي في أعلام الورى 192.

أهل البيت قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحدا قبلك وأحب أن تسمعها مني فقال له علي الرضا: هات قل. فأنشأ يقول:

ذكرت محل الربع من عرفات * فأجريت دمع العين بالعبرات

وفل عرى صبري وهاجت صبابتي * رسوم ديار أقفرت وعرات

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومهبط وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات

ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذو الثفنات

ديار لعبد الله والفضل صنوه * نجي رسول الله في الخلوات

منازل كانت للصلاة وللتقى * وللصوم والتطهير والحسنات

منازل جبريل الأمين يحلها * من الله بالتعليم والرحمات

منازل وحي الله معدن علمه * سبيل رشاد واضح الطرقات

قفا نسأل الدار التي خف أهلها * متى عهدها بالصوم والصلوات

وأين الأولى شطت بهم غربة النوى * فأمسين في الأقطار مفترقات؟!

أحب قضاء الله من أجل حبهم * وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي

هم أهل ميراث النبي إذا انتموا * وهم خير سادات وخير حماة

مطاعيم في الاعسار في كل مشهد * لقد شرفوا بالفضل والبركات

أئمة عدل يقتدى بفعالهم * وتؤمن منهم زلة العثرات

فيا رب زد قلبي هدى وبصيرة * وزد حبهم يا رب في حسناتي

لقد آمنت نفسي بهم في حياتها * وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

ألم تراني مذ ثلاثين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات؟!

أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات

إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم * أكفا عن الأوتار منقبضات

وآل رسول الله نحف جسومهم * وآل زياد أغلظ القصرات

سأبكيهم ما ذر في الأفق شارق * ونادى منادي الخير بالصلوات

وما طلعت شمس وحان غروبها * وبالليل أبكيهم وبالغدوات

ديار رسول الله أصبحن بلقعا * وآل زياد تسكن الحجرات

وآل زياد في القصور مصونة * وآل رسول الله في الفلوات

فلو لا الذي أرجوه في اليوم أو غد * تقطع نفسي إثرهم حسراتي

خروج إمام لا محالة خارج * يقوم على اسم الله بالبركات

يميز فينا كل حسن وباطل * ويجزي عن النعماء والنقمات

فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبري * فغير بعيد كل ما هو آت

وهي قصيدة طويلة عدة أبياتها مائة وعشرون بيتا. ولما فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو الحسن الرضا وقال: لا تبرح. فأنفذ إليه صرة فيها مائة دينار واعتذر إليه. فردها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت وإنما جئت للسلام عليه والتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون وإني لفي غني فإن رأى أن يعطيني شيئا من ثيابه للتبرك فهو أحب إلي. فأعطاه الرضا جبة خز عليه الصرة وقال للغلام: قل له: خذها ولا تردها فإنك ستصرفها أحوج ما تكون إليها. فأخذها وأخذ الجبة. [إلى آخر حديث اللصوص المذكور].

10 - ذكر الشبلنجي في " نور الأبصار " ص 153 ما مر عن الشبراوي برمته حرفيا.

* (أما أعلام الطايفة) *

فقد ذكر القصيدة وقصة الجبة واللصوص جمع كثير لا نطيل المقال بذكر كلماتهم بل نقتصر منها على ما لم يذكر في الكلمات المذكورة. روى شيخنا الصدوق في " العيون " 368 و " الأمالي " 211 عن الهروي قال: دخل دعبل على أبي الحسن الرضا عليه السلام بمرو فقال له: يا بن رسول الله؟ إني قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحدا قبلك فقال عليه السلام: هاتها. فأنشده فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي؟ فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدوا إلي واتريهم * أكفا عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن عليه السلام يقلب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات: فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها * وإني لأرجو الأمن من بعد وفاتي

قال الرضا: آمنك الله يوم الفزع الأكبر. فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية * تضمنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟! فقال بلى يا بن رسول الله. فقال عليه السلام.

وقبر بطوس يا لها من مصيبة * توقد في الأحشاء بالحرقات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائما * يفرج عنا الهم والكربات

فقال دعبل: يا بن رسول الله؟ هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟! فقال الرضا:

قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفورا له. ثم نهض الرضا عليه السلام وأمر دعبل أن لا يبرح من موضعه. [فذكر قصة الجبة واللصوص ثم قال:

كانت لدعبل جارية لها من قبله محمل فرمدت عينها رمدا عظيما فأدخل أهل الطب عليها فنظروا إليها فقالوا: أما العين اليمنى فليس لنا فيها حيلة وقد ذهبت، وأما اليسرى فنحن نعالجها ونجتهد ونرجوا أن تسلم. فاغتم لذلك دعبل غما شديدا وجزع عليها جزعا عظيما، ثم أنه ذكر ما كان معه من وصلة الجبة فمسحها على عيني الجارية وعصبها بعصابة منها من أول الليل فأصبحت وعيناها أصح ما كانتا قبل ببركة أبي الحسن الرضا عليه السلام (1).

في مشكاة الأنوار (2) ومؤجج الأحزان (3): روي أنه لما قرأ دعبل قصيدته على الرضا عليه السلام وذكر الحجة عجل الله فرجه بقوله:

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد * تقطع نفسي إثرهم حسراتي

خروج إمام لا محالة خارج * يقوم على اسم الله والبركات

وضع الرضا عليه السلام يده على رأسه وتواضع قائما ودعى له بالفرج. وحكاه عن " المشكاة " صاحب الدمعة الساكبة وغيره.

---

(1) وذكره الطبرسي في أعلام الورى ص 191، والأربلي في كشف الغمة ص 275.

(2) تأليف الشيخ محمد بن عبد الجبار البحراني.

(3) تأليف الشيخ عبد الرضا بن محمد الأوالي البحراني.

ولهذه التائية عدة شروح لأعلام الطايفة منها:

شرح العلامة الحجة السيد نعمة الله الجزائري المتوفى 1112.

شرح العلامة الحجة كمال الدين محمد بن محمد القنوي الشيرازي.

شرح العلامة الحاج ميرزا علي العلياري التبريزي المتوفى 1327.

لفت نظر

إن مستهل هذه القصيدة ليس كل ما ذكروه فإنها مبدوة بالنسيب ومطلعها:

تجاوبن بالأرنان والزفرات * نوائح عجم اللفظ والنطقات

قال ابن الفتال في روضته ص 194، وابن شهر آشوب في " المناقب " 2 ص 394:

وروي أن دعبل أنشدها الإمام عليه السلام من قوله: مدارس آيات - وليس هذا البيت رأس القصيدة ولكن أنشدها من هذا البيت فقيل له: لم بدأت بمدارس آيات؟!

قال: إستحييت من الإمام عليه السلام أن أنشده التشبيب فأنشدته المناقب ورأس القصيدة

تجاوبن بالأرنان والزفرات * نوائح عجم اللفظ والنطقات

ذكرها برمتها وهي مائة وعشرون بيتا الأربلي في [كشف الغمة]. والقاضي في " المجالس " ص 451. والعلامة المجلسي في " البحار " ص 75. والزنوزي في الروضة الأولى من " رياض الجنة " ونص على عددها المذكور الشبراوي والشبلنجي كما مر. فما قدمناه عن الحموي من أن [نسخ هذه القصيدة مختلفة في بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة وإنا موردون هنا ما صح] من بعض الظن الذي هو إثم وقد ذكر هو في معجم البلدان ما هو خارج عما أثبته في معجم الأدباء من الصحيح عنده فحسب راجع ج 2 ص 28، وذكر المسعودي في " مروج الذهب " 2 ص 239 و غيره بعض ما ذكره في معجم البلدان. وأثبت سبط ابن الجوزي في " التذكرة " وابن طلحة في " المطالب " والشبراوي في " الإتحاف "، والشبلنجي في " نور الأبصار " زيادات لا توجد بما استصحه الحموي، وليس من الممكن قذف هؤلاء الأعلام بإثبات المفتعل. وبما أن العلم تدريجي الحصول فمن المحتمل أن الحموي يوم تأليفه " معجم الأدباء " لم يقف به البحث على أكثر مما ذكر ثم لما توسع في العلوم ثبت عنده غيره أيضا فأدرجه في معجم البلدان " الذي هو متأخر في التأليف، ولذلك يحيل فيه على " معجم الأدباء " في

أكثر مجلداته راجع 2 ص 45، 117، 135، 186 و ج 3 ص 117، 184، و ج 4 ص 228، 400، و ج 5 ص 187، 289، و ج 6 ص 177 وغيرها لكن سوء ظنه بالشيعة حداه إلى نسبة الافتعال إليهم عند تدوين الترجمة، ونحن لا نناقشه بالحساب في هذا التظني فإن الله لهم بالمرصاد وهو نعم الرقيب والحسيب.

* (الشاعر) *

أبو علي - أبو جعفر - دعبل بن علي بن رزين (1) بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن ابن عدي بن عمرو بن ربيعة الخزاعي.

أخذناه من فهرست النجاشي ص 116. وتأريخ الخطيب 8 ص 382. وأمالي الشيخ 239. وتأريخ ابن عساكر 5 ص 227. ومعجم الأدباء للحموي 11 ص 100 وقال: وعلى هذا الأكثر. والإصابة لابن حجر 1 ص 141.

* (بيت رزين) *

بيت علم وفضل وأدب وإن خصه ابن رشيق في عمدته 2 ص 290 بالشعر، فإن فيهم محدثون وشعراء، وفيهم السؤدد والشرف، وكل الفضل والفضيلة ببركة دعاء النبي الأطهر لجدهم الأعلى: بديل بن ورقاء لما أوقفه العباس بن عبد المطلب

يوم الفتح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله: وقال: يا رسول الله؟ هذا يوم قد شرفت فيه قوما فما بال خالك بديل بن ورقاء؟! وهو قعيد حبه. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أحسر عن حاجبيك يا بديل؟ فحسر عنهما وحدر لثامه فرأى سوادا بعارضه فقال: كم سنوك يا بديل؟! فقال: سبع وتسعون يا رسول الله؟ فتبسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: زادك الله جمالا وسوادا وأمتعك وولدك. (2)

ومؤسس شرفهم الباذخ: البطل العظيم عبد الله بن ورقاء الذي كان هو وأخواه عبد الرحمن ومحمد رسل رسول الله صلى الله وآله وسلم إلى المين كما في رجال الشيخ. و

---

(1) في الأغاني 8 ص 29: ابن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن دعبل ابن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن مزيقيا.

(2) أمالي الشيخ ص 239، الإصابة 1 ص 141.

كانوا هم وأخوهم عثمان من فرسان مولانا أمير المؤمنين الشهداء في صفين (1) وأخوهم الخامس: نافع بن بديل استشهد على عهد النبي صلى الله عليه وآله ورثاه ابن رواحة بقوله:

رحم الله بن بديل * رحمة المبتغي ثواب الجهاد

صابرا صادق الحديث إذا ما * أكثر القوم قال قول السداد (2)

فحسب هذا البيت شرفا أن فيه خمسة شهداء وهم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عبد الله من متقدمي الشجعان، والمتبرز في الفروسية، والمحتلي بأعلى مراتب الإيمان، وعده الزهري من دهاة العرب الخمسة كما في الإصابة 2 ص 281 قال له أمير المؤمنين يوم صفين: احمل على القوم. فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة وعليه يومئذ سيفان ودرعان فجعل يضرب بسيفه قدما ويقول:

لم يبق غير الصبر والتوكل * والترس والرمح وسيف مصقل

ثم التمشي في الرعيل الأول * مشي الجمال في حياض المنهل

فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية والذين بايعوه إلى الموت فأمرهم أن يصمدوا لعبد الله بن بديل وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه. واختلط الناس واضطرم الفيلقان ميمنة أهل العراق وميسرة أهل الشام وأقبل عبد الله بن بديل يضرب الناس بسيفه قدما حتى أزال معاوية عن موقفه وجعل ينادي: يا ثارات عثمان؟ وإنما يعني أخا له قتل، وظن معاوية وأصحابه أنه يعني: عثمان بن عفان. وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيرا وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة إنسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم ولج ابن بديل في الناس وصمم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى إليه ومع معاوية عبد الله بن عامر واقفا فنادى معاوية بالناس: ويلكم الصخر والحجارة. حتى أثخنوه فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه، وجاء معاوية وعبد الله بن عامر حتى وقفا عليه فأما عبد الله بن عامر

---

(1) صفين لابن مزاحم ص 126، خصال الصدوق، شرح النهج 1 ص 486. الإصابة 3 ص 371.

(2) الإصابة 3 ص 543.

فألقى عمامته على وجهه وترحم عليه وكان له من قبل أخا وصديقا، فقال معاوية:

إكشف عن وجهه. فقال: لا والله لا يمثل به وفي روح فقال معاوية: إكشف عن وجهه فإنا لا نمثل به قد وهبناه لك. فكشف ابن عامر عن وجهه فقال معاوية: هذا كبش القوم ورب الكعبة أللهم اظفرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر: (1)

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها * وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويحمي إذا ما الموت كان لقاؤه * قدى السير يحمي الأنف أن يتأخرا

كليث هزبر كان يحمي ذماره * رمته المنايا قصدها فتقطرا (2)

ثم قال: إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلا عن رجالها لفعلت (3) ومر بعبد الله بن بديل وهو بآخر رمق من حياته الأسود بن طهمان الخزاعي فقال له: عز علي والله مصرعك أما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك، ولو رأيت الذي أشعرك لأحببت أن لا أزايله ولا يزايلني حتى أقتله أو يلحقني بك. ثم نزل إليه فقال: رحمك الله يا عبد الله؟ إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيرا، أوصني رحمك الله. قال: أوصيك بتقوى الله وأن تناصح أمير المؤمنين وتقاتل معه حتى يظهر الحق أو تلحق بالله، وأبلغ أمير المؤمنين عني السلام وقل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب.

ثم لم يلبث أن مات فأقبل الأسود إلى علي عليه السلام فأخبره فقال: رحمه الله جاهد معنا عدونا في الحياة ونصح لنا في المماة. (4) وينم عن عظمة عبد الله بن بديل بين الصحابة العلوية قول ابن عدي بن حاتم رضوان الله عليه يوم صفين:

أبعد عمار وبعد هاشم * وابن بديل فارس الملاحم

نرجوا البقاء مثل حلم الحالم * وقد عضضنا أمس بالاباهم

---

(1) هو حاتم الطائي من قصيدة في ديوانه ص 121 ولم يرو فيه البيت الثالث.

(2) تقطر: سقط صريعا.

(3) كتاب صفين لابن مزاحم ص 126، شرح النهج لابن أبي الحديد 1 ص 486.

(4) كتاب صفين لابن مزاحم ص 243 ط ايران و 520 ط مصر، شرح ابن أبي الحديد 2 ص 299.

وقول سليم (سليمان) بن صرد الخزاعي يوم صفين:

يالك يوما كاسفا عصبصبا * يالك يوما لا يواري كوكبا

يا أيها الحي الذي تذبذبا * لسنا نخاف ذا ظليم حوشبا

لأن فينا بطلا مجربا * ابن بديل كالهزبر مغضبا

أمسى علي عندنا محببا * نفديه بالأم ولا نبقي أبا

وقول الشني في أبيات له:

فإن يك أهل الشام أودوا بهاشم * وأودوا بعمار وأبقوا لنا ثكلا

وبابني بديل فارسي كل بهمة * وغيث خزاعي به ندفع المحلا (1)

وأما أبو المترجم علي بن رزين فكان من شعراء عصره، ترجمه المرزباني في " معجم الشعراء " 1 ص 283، وجده رزين كان مولى عبد الله بن خلف الخزاعي أبي طلحة الطلحات كما ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء.

وعم المترجم عبد الله بن رزين، أحد الشعراء كما ذكرة ابن رشيق في " العمدة ".

وابن عمه أبو جعفر محمد أبو الشيص ابن عبد الله المذكور، شاعر له ديوان عمله الصولي في مائة وخمسين ورقة، توجد ترجمته في " البيان والتبيين " 3 ص 83، " الشعر والشعراء " ص 346، " الأغاني " 15 ص 108، " فوات الوفيات " 2 ص 25. وغيرها. و ترجمه ابن المعتز في طبقاته ص 26 - 33 وذكر له قصايد طويلة غير أنه عكس في إسمه و إسم أبيه وذكره بعنوان: عبد الله بن محمد. والصحيح: محمد بن عبد الله. وعبد الله بن أبي الشيص المذكور، شاعر له ديوان في نحو سبعين ورقة، وذكره أبو الفرج في " الأغاني " 15 ص 108 وقال: إنه شاعر صالح الشعر وكان منقطعا إلى محمد بن طالب فأخذ منه جامع شعر أبيه ومن جهته خرج إلى الناس. وترجمه ابن المعتز في طبقاته ص 173.

* (أبو الحسن علي أخو دعبل) *

كان شاعرا له ديوان شعر نحو خمسين ورقة كما في فهرست ابن النديم، سافر مع أخيه المترجم إلى أبي الحسن الرضا سلام الله عليه سنة 198 وحظيا بحضرته الشريفة مدة طويلة، قال أبو الحسن علي هذا: رحلنا أنا ودعبل سنة 198 إلى سيدي أبي الحسن

---

(1) البهمة بالضم: الجيش. المحل: الخديعة والكيد. الشدة. الجدب

علي بن موسى الرضا فأقمنا عنده إلى آخر سنة مأتين وخرجنا إلى قم بعد أن خلع سيدي أبو الحسن الرضا على أخي دعبل قميصا خزا أخضر وخاتما فصه عقيق، ودفع إليه دراهم رضوية وقال له: يا دعبل؟ صر إلى قم فإنك تفيد بها. فقال له: احتفظ بهذا القميص فقد صليت فيه ألف ليلة ألف ركعة وختمت فيه القرآن ألف ختمة (1) ولد سنة 172 وتوفي 283.

وخلف أبا القاسم إسماعيل بن علي الشهير بالدعبلي المولود 257، يروي كثيرا عن والده أبي الحسن كان مقامه بواسط وولي الحسبة (2) بها له كتاب تاريخ الأئمة. و كتاب النكاح.

* (رزين أخو دعبل) *

وأخوه هذا أحد شعراء هذا البيت ولدعبل فيه أبيات في تاريخ ابن عساكر 5 ص 139 وقال الأزدي: وخرج إبراهيم بن العباس ودعبل ورزين إبني علي رجالة إلى بعض البساتين (أو: إلى زيارة أبي الحسن الرضا عليه السلام كما في رواية العيون) فلقوا جماعة من أهل السواد من حمال الشوك فأعطوهم شيئا وركبوا حميرهم فقال إبراهيم:

أعيدت بعد حمل الشوك * أحمالا من الخزف

نشاوى لا من الخمرة * بل من شدة الضعف

ثم قال لرزين: أجزها. فقال:

فلو كنتم على ذاك * تصيرون إلى القصف

تساوت حالكم فيه * ولا تبقوا على الخسف

ثم قالا لدعبل: أجزيا أبا علي؟ فقال:

فإذ فات الذي فات * فكونوا من ذوي الظرف

وخفوا نقصف اليوم * فإني بايع خفي

بدايع البداية 2 ص 210

---

(1) فهرست النجاشي ص 197، أمالي الشيخ ص 229.

(2) يأتي كلامنا في الحسبة في الجزء الرابع عند ترجمة ابن الحجاج البغدادي.

أما المترجم

فهو دعبل (1) يكنى أبا علي عند الجميع وعن ابن أيوب (2) أبو جعفر. وفي الأغاني عن ابن أيوب: إن اسمه محمد، وفي تاريخ الخطيب 8 ص 383: زعم أحمد بن القاسم: إن اسمه الحسن، وقال ابن أخيه إسماعيل: إسمه عبد الرحمن. وقال غيرهما : محمد. وعن إسماعيل: إنما لقبته دايته بدعبل لدعابة كانت فيه فأرادت ذعبلا فقلبت الذال دالا.

يقال: أصله كوفي كما في كثير من المعاجم، وقيل: من قرقيسا. وكان أكثر مقامه ببغداد وخرج منها هاربا من المعتصم لما هجاه وعاد إليها بعد ذلك وجول في الآفاق فدخل البصرة ودمشق ومصر على عهد المطلب بن عبد الله بن مالك المصري وولاه أسوان فلما بلغ هجاؤه إياه عزله فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له وقال:

انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه وأمنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر وأصعد مكانه. فلما أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب فقال له دعبل: دعني أخطب فإذا نزلت قرأته قال: لا، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه. فقرأه وأنزله عن المنبر معزولا وخرج منها إلى المغرب إلى بني الأغلب.

(الأغاني 18 ص 48)

سافر إلى الحجاز مع أخيه رزين، والي الري وخراسان مع أخيه علي، وقال أبو الفرج (3): كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد و أثرى، وكانت الشراة والصعاليك يلقونه لا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه: ثقيف وشعف.

وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان، وسقاهم وشرب معهم، وأنشدهم فكانوا قد عرفوه و ألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يواصلونه ويصلونه، وأنشد دعبل لنفسه في بعض أسفاره:

حللت محلا يقصر البرق دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

---

(1) الدعبل: الناقة التي معها ولدها. البعير المسن. الشيئ القديم (الأغاني).

(2) في الأغاني. ومعاهد التنصيص. ونهاية الإرب.

(3) في الأغاني 18 ص 36.

وقال ابن المعتز في طبقاته ص 125: وكان يجتاز بقم فيقيم عند شيعتها فيقسطون له في كل سنة خمسة ألف درهم.

يقع البحث في ترجمته من نواحي أربع.

1 - تهالكه في ولاء أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم.

2 - نبوغه في الشعر والأدب والتاريخ وتآليفه.

3 - روايته للحديث والرواة عنه ومن يروى هو عنه.

4 - سيره مع الخلفاء. ثم ملحه ونوادره ثم ولادته ووفاته.

* (أما الأولى) *

فجلية الحال فيها غنية عن البرهنة عليها فما ظنك برجل كان يسمع منه وهو يقول: أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحدا يصلبني عليها. وقيل للوزير محمد بن عبد الملك الزيات: لم لا تجيب دعبلا عن قصيدته التي هجاك فيها؟! قال: إن دعبلا جعل خشبته على عنقه يدور بها يطلب من يصلبه بها منذ ثلثين سنة وهو لا يبالي (1).

كل ذلك من جراء ما كان ينافح ويناطح ويناضل وينازل في الذب عن البيت النبوي الطاهر، والتجاهر بموالاتهم، والوقيعة في مناوئيهم، لا يقر به قرار، فلا يقله مأمن ولا يظله سقف منتجع، وما زالت تتقاذف به أجواز الفلا فرقا من خلفاء الوقت، وأعداء العترة الطاهرة، ومع ذلك كله فقصائده السائرة تلهج بها الركبان، وتزدان بها الأندية، وهي مسرات للموالين، ومحفظات للأعداء، ومثيرات للعهن والضغاين حتى قتل على ذلك شهيدا.

وما ينقم من المترجم له من التوغل في الهجاء في غير واحد من المعاجم فإن نوع ذلك الهجو والسباب المقذع فيمن حسبهم أعداء للعترة الطاهرة وغاصبي مناصبهم، فكان يتقرب به إلى الله وهو من المقربات إليه سبحانه زلفى، وإن الولاية لا تكون خالصة إلا بالبرائة ممن يضادها ويعاندها كما تبرأ الله ورسوله من المشركين، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، غير أن أكثر أرباب المعاجم من الفئة المتحيزة إلى أعداء هذا البيت الطاهر حسبوا ذلك منه ذنبا لا يغفر كما هو عادتهم في جل رجالات الشيعة.

(1) طبقات الشعراء لابن المعتز ص 125.

* (أما نبوغه في الأدب) *

فأي برهنة له أوضح من شعره السائر؟! الذي تلهج به الألسن، وتتضمنه طيات الكتب، ويستشهد به في إثبات معاني الألفاظ ومواد اللغة، ويهتف به في مجتمعات الشيعة آناء الليل وأطراف النهار، ذلك الشعر السهل الممتنع الذي يحسب السامع لأول وهلة أنه يأتي بمثيله ثم لما خاض غماره، وطفق يرسب ويطف بين أواذيه، علم أنه قصير الباع، قصير الخطا، قصير المقدرة عن أن يأتي بما يدانيه فضلا عما يساويه.

كان محمد بن القاسم بن مهرويه يقول: سمعت أبي يقول: ختم الشعر بدعبل. و قال البحتري: دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد فقيل له: كيف ذلك؟! قال: لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصب له (1).

وعن عمرو بن مسعدة قال: حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قال له المأمون أبي شيئ تروي لأخي خزاعة يا قاسم؟! فقال: وأي أخي خزاعة يا أمير المؤمنين؟! قال: و من تعرف فيهم شاعرا؟! فقال: أما من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزين، وأما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله. فقال: ومن عسى في هؤلاء أن يسئل عن شعره سوى دعبل؟! هات أي شيئ عندك فيه. وقال الجاحظ: سمعت دعبل بن علي يقول: مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذر شارقه إلا وأنا أقول فيه شعرا. (2) ولما أنشد دعبل أبا نواس شعره:

أين الشباب؟! وأية سلكا؟! * لا أين يطلب؟! ضل بل هلكا

لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال: أحسنت ملاء فيك وأسماعنا. قال محمد بن يزيد: كان دعبل والله فصيحا (3) وهناك كلمات ضافة حول أدبه والثناء عليه لا يهمنا ذكرها.

أخذ الأدب عن صريع الغواني مسلم بن الوليد (4) واستقى من بحره وقال: ما زلت

---

(1) الأغاني 18 ص 18، 37.

(2) الأغاني 18 ص 44.

(3) تاريخي ابن خلكان وابن عساكر.

(4) كان شاعرا متصرفا في فنون القول حسن الأسلوب أستاذ الفن: ويقال: إنه أول من قال الشعر المعروف بالبديع ووسعه وتبعه فيه أبو تمام وغيره توفي بجرجان سنة 208.

أقول الشعر وأعرضه على مسلم فيقول لي: اكتم هذا حتى قلت:

أين الشباب؟! وأية سلكا؟! * لا أين يطلب؟! ضل بل هلكا

فلما أنشدته هذه القصيدة قال: إذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئت لمن شئت.

وقال أبو تمام: ما زال دعبل مائلا إلى مسلم بن وليد مقرا بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم وكان فيه بخل فهجره دعبل وكتب إليه:

أبا مخلد كنا عقيدي مودة * هوانا وقلبانا جميعا معا معا

أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي * وأنجع أشفاقا لأن تتوجعا

فصيرتني بعد انتحائك متهما * لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا

عششت الهوى حتى تداعت أصوله * بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا

وأنزلت من بين الجوانح والحشى * ذخيرة ود طالما قد تمنعا

فلا تعذلني ليس لي فيك مطمع * تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا

فهبك يميني استأكلت فقطعتها * وجشمت قلبي صبره فتشجعا (1)

ويروي عنه في الأدب محمد بن يزيد. والحمدوي الشاعر. ومحمد بن القاسم بن مهرويه. وآخرون.

* (آيات نبوغه)

له كتاب: الواحدة. في مناقب العرب ومثالبها. وكتاب: طبقات الشعراء. وهو من التآليف القيمة، والأصول المعول عليها في الأدب والتراجم، ينقل عنه كثيرا المرزباني في معجم الشعراء ص 227، 240، 245، 267، 361، 434، 478. م - والخطيب البغدادي في تاريخه 2 ص 342 و ج 4 ص 143] وابن عساكر في تاريخه 7 ص 46، 47. وابن خلكان في تاريخه 2 ص 166. واليافعي في المرآت 2 ص 123. و أكثر النقل عنه ابن حجر في الإصابة 1 ص 69، 132، 172، 370، 411، 525، 527. و ج 2 ص 99، 103، 108. و ج 3 ص 91، 119، 123، 270، 565، و ج 4 ص 74، 565 وغيرها.

أحسب أنه كتاب ضخم مبوب على البلدان كيتيمة الدهر للثعالبي فقيه:

---

(1) ويروى: وحملت قلبي فقدها. الأغاني 18 ص 47.

أخبار شعراء البصرة. وبهذا العنوان ينقل عنه الآمدي في [المؤتلف والمختلف ص 67، وابن حجر في " الإصابة " 3 ص 270.

أخبار شعراء الحجاز. وبهذا الاسم ينقل عنه ابن حجر في الإصابة 4 ص 74، 163 ويقول: ذكر دعبل في طبقات الشعراء في أهل الحجاز.

أخبار شعراء بغداد. ينقل عنه باسم كتاب شعراء بغداد الآمدي في " المؤتلف " ص 67.

وله ديوان شعر مجموع كما في تأريخ ابن عساكر. وقال ابن النديم: عمله الصولي نحو ثلثمائة ورقة. وعد في فهرسته 210 من تآليف أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر:

كتاب: اختيار شعر دعبل.

ومن آيات نبوغه: قصيدته في ذكر مناقب اليمن وفضايلها من ملوكها وغيرهم على نحو ستمائة بيتا كما في [نشوار المحاضرة] للتنوخي ص 176. مطلعها:

أفيقي من ملامك يا طعينا * كفاك اللوم مر الأربعينا

يرد بها على الكميت في قصيدته التي يمتدح بها نزارا وهي ثلثمائة بيتا أولها:

ألا حييت عنا يا مدينا * وهل ناس تقول مسلمينا؟!

قالها الكميت ردا على الأعور الكلبي في قصيدته التي أولها:

أسودينا واحمرينا * . . . . .

فرءا دعبل النبي صلى الله عليه وآله في النوم فنهاه عن ذكر الكميت بسوء. ولم يزل دعبل كان عند الناس جليل القدر حتى رد على الكميت فكان مما وضعه (1) ورد عليه أبو سعد المخزومي بقصيدة. وعلى أثر هذه المناجزة والمشاجرة افتخرت نزار على اليمن و افتخرت اليمن على نزار، وأدلى كل فريق بماله من المفاخر، وتخربت الناس، وثارت العصبية في البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدي، وتعصبه لقومه من نزار على اليمن، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم، ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن، وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار، وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعة

---

(1) الأغاني 18 ص 29، 31.

في القدم. إلى آخر ما في مروج الذهب 2 ص 197.

أما روايته في الحديث

فعده ابن شهر آشوب في المعالم " ص 139 من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام، وحكى النجاشي في فهرسته ص 198 عن ابن أخيه: أنه رأى موسى بن جعفر ولقي أبا الحسن الرضا. وقد أدرك الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ولقيه، وروى الحميري في " الدلايل " وثقة الاسلام الكليني في " أصول الكافي ": أنه دخل على الرضا عليه السلام فأعطاه شيئا فلم يحمد الله تعالى فقال: لم لم تحمد الله تعالى؟! ثم دخل على الجواد فأعطاه فقال: الحمد لله. فقال عليه السلام: تأدبت.

ويروي شاعرنا عن جماعة منهم:

1 - الحافظ شعبة بن الحجاج المتوفى 160 (1) وبهذا الطريق يروى عنه الحديث في كتب الفريقين كما في أمالي الشيخ ص 240. وتأريخ ابن عساكر 5 ص 228.

2 - الحافظ سفيان الثوري المتوفى 161. (تأريخ ابن عساكر 5 ص 228)

3 - إمام المالكية مالك بن أنس المتوفى 179. (تأريخ ابن عساكر 5 ص 228)

4 - أبو سعيد سالم بن نوح البصري المتوفى بعد المأتين. (تأريخ ابن عساكر 5 ص 228)

5 - أبو عبد الله محمد بن عمرو الواقدي المتوفى 207. (تأريخ ابن عساكر 5 ص 228)

6 - الخليفة المأمون العباسي المتوفى 218، تأريخ الخلفاء ص 204.

7 - أبو الفضل عبد الله بن سعد الزهري البغدادي المتوفى 260، يروي عنه عن ضمرة عن ابن شوذب عن مطر عن ابن حوشب عن أبي هريرة حديث. صوم الغدير المذكور ج 1 ص 401. (2)

8 - محمد بن سلامة يروي عنه بطريقه شيخ الطايفة في أماليه ص 237 عن أمير المؤمنين عليه السلام خطبته الشهيرة بالشقشقية التي أولها: والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، ولكني سدلت عنها ثوبا، وطويت عنها كشحا.

---

(1) يروى عنه وعن الثوري وهو لم يبلغ الحلم.

(2) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى 2.

9 - سعيد بن سفيان الأسلمي المدني. (أمالي الشيخ ص 227)

10 - محمد بن إسماعيل " مشترك ". (أمالي الشيخ ص 227)

11 - مجاشع بن عمر يروي عنه عن مسيرة عن الجزري عن ابن جبير عن ابن عباس إنه سئل عن قول الله عز وجل: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما.

الحديث. أمالي الشيخ ص 240.

م - 12 موسى بن سهل الراسبي، ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب 10 ص 348 شيخا للمترجم له ولم يعرفه].

وعد ابن عساكر في تاريخه 5 ص 228 ممن يقال برواية المترجم عنه: يحيى ابن سعيد الأنصاري وخفي عليه أن يحيى الأنصاري توفي 143 قبل ولادة المترجم بسنين.

* (والرواة عن المترجم هم) *

1 - أبو الحسن علي أخوه كما في كثير من كتب الحديث والمعاجم.

2 - موسى بن حماد اليزيدي. فهرست النجاشي ص 117.

3 - أبو الصلت الهروي المتوفى 236. في مصادر كثيرة.

4 - هارون بن عبد الله المهلبي. في الأمالي والعيون.

5 - علي بن الحكيم. في أصول الكافي.

6 - عبد الله بن سعيد الأشقري. الأغاني وغيره.

7 - موسى بن عيسى المروزي. الأغاني وغيره.

8 - ابن المنادي أحمد بن أبي داود المتوفى 272. تاريخ ابن عساكر (1)

9 - محمد بن موسى البريري. تاريخ ابن عساكر.

* (أما سيره مع الخلفاء والوزراء) *

فهذه ناحية واسعة النطاق، طويلة الذيل، يجد الباحث في طيات كتب التاريخ ومعاجم الأدب المفصلة حولها كراريس مسطرة فيها لغو الحديث نضرب عنها صفحا ونقتطف منها النزر اليسير.

---

(1) 5 ص 228. وابن المنادي في المعاجم: محمد بن عبيد الله.

1 - عن يحيى بن أكثم قال: إن المأمون أقدم دعبل رحمه الله وآمنه على نفسه فلما مثل بين يديه وكنت جالسا بين يدي المأمون فقال له: أنشدني قصيدتك " الرائية " فجحدها دعبل وأنكر معرفتها، فقال له: لك الأمان عليها كما أمنتك على نفسك. فأنشده:

تأسفت جارتي لما رأت زوري * وعدت الحلم ذنبا غير مغتفر

ترجو الصبى بعد ما شابت ذوائبها * وقد جرت طلقا في حلية الكبر

أجارتي إن شيب الرأس يعلمني * ذكر المعاد وأرضاني عن القدر

لو كنت أركن للدنيا وزينتها * إذا بكيت على الماضين من نفر

أخنى الزمان على أهلي فصدعهم * تصدع الشيب لاقى صدمة الحجر

بعض أقام وبعض قد أصار به * داعي المنية والباقي على الأثر

أما المقيم فأخشى أن يفارقني * ولست أوبة من ولى بمنتظر

أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي * كحاكم قص رؤيا بعد مدكر

لولا تشاغل عيني بالأولى سلفوا * من أهل بيت رسول الله لم أقر

وفي مواليك للحرين مشغلة * من أن تبيت لمشغول على أثر

كم من ذراع لهم بالطف بائنة * وعارض بصعيد الترب منعفر

أمسى الحسين ومسراهم لمقتله * وهم يقولون: هذا سيد البشر

يا أمة السوء ما جازيت أحمد في * حسن البلاء على التنزيل والسور

خلفتموه على الأنباء حين مضى * خلافة الذئب في إنفاد ذي بقر

قال يحيى: وأنفذني المأمون في حاجة فقمت فعدت إليه وقد انتهى إلى قوله:

لم يبق حي من الأحياء نعلمه * من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

إلا وهم شركاء في دمائهم * كما تشارك أيسار على جزر

قتلا وأسرا وتخويفا ومنهبة * فعل الغزاة بأرض الروم والخزر

أرى أمية معذورين إن قتلوا * ولا أرى لبني العباس من عذر

قوم قتلتم على الاسلام أولهم * حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر

أبناء حرب ومروان وأسرتهم * بنو معيط ولاة الحقد والزعر

إربع بطوس على قبر الزكي بها * إن كنت تربع من دين على وطر

قبران في طوس خير الناس كلهم * وقبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قبر الزكي ولا * على الزكي بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل أمرء رهن بما كسبت * له يداه فخذ ما شئت أو فذر

قال: فضرب المأمون عمامته الأرض وقال: صدقت والله يا دعبل. (1) روى شيخنا الصدوق في أماليه ص 390 بإسناده عن دعبل أنه قال: جائني خبر موت الرضا عليه السلام وأنا مقيم بقم فقلت القصيدة الرائية. ثم ذكر أبياتا منها:

2 - دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون فشكى إليه حاله وقال: يا أمير المؤمنين إن الله سبحانه وتعالى فضلك في نفسك علي، وألهمك الرأفة والعفو عني، والنسب واحد، وقد هجاني دعبل فانتقم لي منه فقال: وما قال؟! لعل قوله:

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله * فهفا إليه كل أطلس مائق

وأنشده الأبيات فقال: هذا من بعض هجائه وقد هجاني بما هو أقبح من هذا فقال المأمون: لك أسوة بي فقد هجاني واحتملته، وقال في (2):

أيسومني المأمون خطة جاهل * أو ما رأى بالأمس رأس محمد؟!

إني من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد (3)

شادوا بذكرك بعد طول خمولة * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال إبراهيم: زادك الله حلما يا أمير المؤمنين وعلما، فما ينطق أحدنا إلا عن فضل علمك، ولا تحمل إلا اتباعا لحلمك.

3 - حدث ميمون بن هرون قال: قال إبراهيم بن المهدي للمأمون قولا في دعبل يحرضه عليه فضحك المأمون وقال: إنما تحرضني عليه لقوله فيك:

(1) الأغاني 18 ص 57. تاريخ ابن عساكر 5 ص 233. أمالي المفيد أمالي الشيخ ص 61.

(2) أول القصيدة:

أخذ المشيب من الشباب الأغيد * والنائبات من الأنام بمرصد

(3) أشار إلى قضية طاهر الخزاعي وقتله الأمين محمد بن الرشيد وبذلك ولي المأمون الخلافة.

فسوف تعطون حنينية * يلتذها الأمرد والأشمط

والمعبديات لقوادكم * لا تدخل الكيس ولا تربط

وهكذا يرزق قواده * خليفة مصحفة البربط

فقال له إبراهيم: فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين. فقال: دع هذا عنك، فقد عفوت عنه في هجائه إياي لقوله هذا. وضحك ثم دخل أبو عباد فلما رآه المأمون من بعد قال لإبراهيم: دعبل يجسر على أبي عباد بالهجاء ولا يحجم عن أحد. فقال له:

وكان أبا عباد أبسط يدا منك؟! قال: لا، ولكنه حديد جاهل لا يؤمن وأنا أحلم و أصفح، والله ما رأيت أبا عباد مقبلا إلا أضحكني قول دعبل فيه.

أولى الأمور بضيعة وفساد * أمر يدبره أبو عباد (1)

4 - حدث أبو ناجية قال: كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله فهرب إلى الجبل وقال يهجوه:

بكى لشتات الدين مكتئب صب * وفاض بفرط الدمع من عينه غرب

وقام إمام لم يكن ذا هداية * فليس له دين وليس له لب

وما كانت الأنباء تأتي بمثله * يملك يوما أو تدين له العرب

ولكن كما قال الذين تتابعوا * من السلف الماضين إذ عظم الخطب

ملوك بني العباس في الكتب سبعة * ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * خيار إذا عدوا وثامنهم كلب

وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة * لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم * وصيف وأشناس وقد عظم الكرب

وفضل بن مروان يثلم ثلمة * يظل لها الاسلام ليس له شعب

5 - حدث ميمون بن هارون قال: لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا * في خير قبر لخير مدفون

: لن يجبر الله أمة فقدت * مثلك إلا بمثل هارون

(1) توجد بقية الأبيات في الأغاني 18 ص 39.

الصفحة 30

فقال دعبل يعارضه:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا * في شر قبر لشر مدفون

: إذهب إلى النار والعذاب فما * خلتك إلا من الشياطين

ما زلت حتى عقدت بيعة من * أضر بالمسلمين والدين

6 - حدث محمد بن قاسم بن مهرويه قال: كنت مع دعبل بالضميرة وقد جاء نعي المعتصم وقيام الواثق فقال لي دعبل: أمعك شئ تكتب فيه؟! فقلت: نعم، وأخرجت قرطاسا فأملى علي بديها:

الحمد لله لا صبر ولا جلد * ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد * وآخر قام لم يفرح به أحد

7 - حدث محمد بن جرير قال: أنشدني عبيد الله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل وما سمعت له غيره فيه:

ولست بقائل قذعا ولكن * لأمر ما تعبدك العبيد

قال: يرميه في هذا البيت بالابنة.

8 - دخل عبد الله بن طاهر على المأمون فقال له المأمون: أي شئ تحفظ يا عبد الله لدعبل؟! فقال: أحفظ أبياتا له في أهل بيت أمير المؤمنين. قال: هاتها ويحك. فأنشده عبد الله قول دعبل:

سقيا ورعيا لأيام الصبابات * أيام أرفل في أثواب لذاتي

أيام غصني رطيب من ليانته * أصبو إلى خير جارات وكنات

دع عنك ذكر زمان فات مطلبه * واقذف برجلك عن متن الجهالات

واقصد بكل مديح أنت قائله * نحو الهداة بني بيت الكرامات

فقال المأمون: إنه قد وجد والله مقالا ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم. ثم قال المأمون: لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه:

ألم يأن للسفر الذين تحملوا * إلى وطن قبل الممات رجوع؟!

فقلت ولم أملك سوابق عبرة * نطقن بما ضمت عليه ضلوع

: تبين فكم دار تفرق شملها * وشمل شتيت عاد وهو جميع

الصفحة 31

كذاك الليالي صرفهن كما ترى * لكل أناس جدبة وربيع

ثم قال: ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري وهجيرتي و مسيلتي حتى أعود.

9 - حدث ميمون بن هارون قال: كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى فلم يرض فعلاه فقال يهجوهما:

ما زال عصياننا لله يرذلنا * حتى دفعنا إلى يحيى ودينار

وغدين عجلين لم تقطع ثمارهما * قد طال ما سجدا للشمس والنار

قال: وفيهما وفي الحسن بن سهل والحسن بن رجاء وأبيه يقول دعبل:

ألا فاشتروا مني ملوك المخزم * أبع حسنا وابني رجاء بدرهم

وأعط رجاء فوق ذاك زيادة * وأسمع بدينار بغير تندم

فإن رد من عيب علي جميعهم * فليس يرد العيب يحيى بن أكثم

ملح ونوادر

1 - حدث أحمد بن خالد قال: كنا يوما بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على كنيسة في سطحه ديك طار من دار دعبل فلما رأيناه قلنا: هذا صيدنا فأخذناه فقال صالح: ما نصنع به؟! قلنا: نذبحه. فذبحناه وشويناه فخرج دعبل وسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح فطلبه منا فجحدنا وشرينا يومنا فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على المسجد وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء وينتابهم الناس فجلس دعبل على المسجد وقال.

أسر المؤذن صالح وضيوفه * أسر الكمي هفا خلال المأقط

بعثوا عليه بنيهم وبناتهم * من بين ناتفة وآخر سامط

يتنازعون كأنهم قذ أوثقوا * خاقان أو هزموا كتائب ناعط (1)

نهشوه فانتزعت له أسنانهم * وتهشمت أقفاؤهم بالحايط

فكتبها الناس عنه ومضوا فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت: ويحكم ضاقت عليكم

---

(1) ناعط: قبيلة من همدان. وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه.

المآكل فلم تجدوا شيئا تأكلونه سوى ديك دعبل؟! ثم أنشدنا الشعر وقال لي: لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته وبعثت به إلى دعبل وإلا وقعنا في لسانه.

ففعلت ذلك.

2 - عن إسحاق النخعي قال: كنت جالسا مع دعبل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثقيف فمر به أعرابي يرفل في ثياب خز فقال لغلامه: ادع لي هذا الأعرابي فأومأ الغلام إليه فجاء فقال له دعبل: ممن الرجل؟! قال: من بني كلاب. قال: من أي ولد كلاب أنت؟! قال: من ولد أبي بكر. فقال دعبل: أتعرف القائل؟!.

ونبأت كلبا من كلاب يسبني * ومحض كلاب يقطع الصلوات

فإن أنا لم أعلم كلابا بأنها * كلاب وإني باسل النقمات

فكان إذا من قيس عيلان والدي * وكانت إذا أمي من الحبطات

قال: هذا الشعر لدعبل يقول في عمرو بن عاصم الكلابي فقال له الأعرابي: ممن أنت؟! فكره أن يقول من خزاعة فيهجوهم فقال: أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر:

أناس علي الخير منهم وجعفر * وحمزة والسجاد ذو الثفنات

إذا فخروا يوما أتوا بمحمد * وجبريل والفرقان والسورات

فوثب الأعرابي وهو يقول: مالي إلى محمد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى.

3 - حدث الحسين بن أبي السري قال: غضب دعبل على أبي نصر بن جعفر بن محمد بن الأشعث وكان دعبل مؤدبه قديما لشئ بلغه عنه فقال يهجو أباه:

ما جعفر بن محمد بن الأشعث * عندي بخير أبوة من عثعث

عبثا تمارس بي تمارس حية * سوارة إن هجتها لم تلبث

لو يعلم المغرور ماذا حاز من * خزي لوالده إذا لم يعبث

قال: فلقيه عثعث فقال له: أي شيئ كان بيني وبينك؟! حتى ضربت بي المثل في خسة الآباء. فضحك دعبل وقال: لا شيئ والله إلا اتفاق اسمك واسم ابن الأشعث في القافية، أو لا ترضى أن أجعل أباك وهو أسود خيرا من آباء الأشعث بن قيس؟!

4 - عن الحسين بن دعبل قال: قال أبي في الفضل بن مروان:

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل * وقلت فسيرت المقالة في الفضل

ألا إن في الفضل بن سهل لعبرة * إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضل

وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظ * إذا فكر الفضل بن مروان في الفضل

فأبق حميدا من حديث تفز به * ولا تدع الاحسان والأخذ بالفضل

فإنك قد أصبحت للملك قيما * وصرت مكان الفضل والفضل والفضل

ولم أر أبياتا من الشعر قبلها * جميع قوافيها على الفضل والفضل

وليس لها عيب إذا هي أنشدت * سوى أن نصحي الفضل كان من الفضل

فبعث إليه الفضل بن مروان بدنانير وقال له: قد قبلت نصحك فاكفني خيرك وشرك (1).

نماذج من شعر دعبل في المذهب

قال في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

أتسكب دمع العين بالعبرات؟! * وبت تقاسي شدة الزفرات؟!

وتبكي لآثار لآل محمد؟! * فقد ضاق منك الصدر بالحسرات

ألا فابكهم حقا وبل عليهم * عيونا لريب الدهر منسكبات

ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم * وداهية من أعظم النكبات

سقى الله أجداثا على أرض كربلا * مرابيع أمطار من المزنات

وصلي على روح الحسين حبيبه * قتيلا لدى النهرين بالفلوات

قتيلا بلا جرم فجعنا بفقده * فريدا ينادي: أين أين حماتي؟!؟.

أنا الظامئ العطشان في أرض غربة * قتيلا ومظلوما بغير ترات

وقد رفعوا رأس الحسين على القنا * وساقوا نساء ولها خفرات

فقل لابن سعد: عذب الله روحه *: ستلقى عذاب النار باللعنات

سأقنت طول الدهر ما هبت الصبا * وأقنت بالآصال والغدوات

على معشر ضلوا جميعا وضيعوا * مقال رسول الله بالشبهات

ويمدح أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر تصدقه خاتمه للسائل في الصلاة و

---

(1) الأغاني 18 ص 33، 38، 39، 42.

نزول قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون). فيه (2) بقوله:

نطق القرآن بفضل آل محمد * وولاية لعليه لم تجحد

بولاية المختار من خير الذي * بعد النبي الصادق المتودد

إذ جاءه المسكين حال صلاته * فامتد طوعا بالذراع وباليد

فتناول المسكين منه خاتما * هبة الكريم الأجود بن الأجود

فاختصه الرحمن في تنزيله * من حاز مثل فخاره فليعدد

إن الإله وليكم ورسوله * والمؤمنين فمن يشأ فليجحد

يكن الإله خصيمه فيها غدا * والله ليس بمخلف في الموعد

وله يمدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

سقيا لبيعة أحمد ووصيه * أعني الإمام ولينا المحسودا

أعني الذي نصر النبي محمدا * قبل البرية ناشئا ووليدا

أعني الذي كشف الكروب ولم يكن * في الحرب عند لقائه رعديدا

أعني الموحد قبل كل موحد * لا عابدا وثنا ولا جلمودا

وله يرثي الإمام السبط شهيد الطف سلام الله عليه:

إن كنت محزونا فمالك ترقد؟! * هلا بكيت لمن بكاه محمد؟!

هلا بكيت على الحسين وأهله؟! * إن البكاء لمثلهم قد يحمد

لتضعضع الاسلام يوم مصابه * فالجود يبكي فقده والسودد

فلقد بكته في السماء ملائك * زهر كرام راكعون وسجد

أنسيت إذ صارت إليه كتائب * فيها ابن سعد والطغاة الجحد؟!

فسقوه من جرع الحتوف بمشهد * كثر العداة به وقل المسعد

لم يحفظوا حق النبي محمد * إذ جرعوه حرارة ما تبرد

قتلوا الحسين فأثكلوه بسبطه * فالثكل من بعد الحسين مبرد

كيف القرار؟! وفي السبايا زينب * تدعو بفرط حرارة: يا أحمد

---

(2) راجع ما مر صفحة 47 من هذا الجزء.

هذا حسين بالسيوف مبضع * متلطخ بدمائه مستشهد

عار بلا ثوب صريع في الثرى * بين الحوافر والسنابك يقصد

والطيبون بنوك قتلى حوله * فوق التراب ذبايح لا تلحد

يا جد قد منعوا الفرات وقتلوا * عطشا فليس لهم هنالك مورد

يا جد من ثكلي وطول مصيبتي * ولما أعانيه أقوم وأقعد

وله من قصيدة طويلة في رثاء الشهيد السبط عليه السلام قوله:

جاؤا من الشام المشومة أهلها * للشوم يقدم جندهم إبليس

لعنوا وقد لعنوا بقتل إمامهم * تركوه وهو مبضع مخموس

وسبوا فواحزني بنات محمد * عبرى حواسر ما لهن لبوس

تبا لكم يا ويلكم أرضيتم * بالنار؟! ذل هنالك المحبوس

بعتم بدنيا غيركم جهلا بكم * عز الحياة وإنه لنفيس

أخزى بها من بيعة أموية * لعنت وحظ البايعين خسيس

بؤسا لمن بايعتم وكأنني * بإمامكم وسط الجحيم حبيس

يا آل أحمد ما لقيتم بعده؟! * من عصبة هم في القياس مجوس

كم عبرة فاضت لكم وتقطعت * يوم الطفوف على الحسين نفوس

صبرا موالينا فسوف نديلكم * يوما على آل اللعين عبوس

ما زلت متبعا لكم ولأمركم * وعليه نفسي ما حييت أسوس

وذكر له ياقوت الحموي في " معجم الأدباء " 11 ص 110 في رثاء الإمام السبط عليه السلام قوله:

رأس ابن بنت محمد ووصيه * يا للرجال على قناة يرفع

والمسلمون بمنظر وبمسمع * لا جازع من ذا ولا متخشع

أيقظت أجفانا وكنت لها كرى * وأنمت عينا لم تكن بك تهجع

كحلت بمنظرك العيون عماية * وأصم نعيك كل إذن تسمع

ما روضة إلا تمنت أنها * لك مضجع ولخط قبرك موضع

وله في مدح الإمام الطاهر علي بن أبي طالب صلوات الله عليه:

أبو تراب حيدره * ذاك الإمام القسوره

مبيد كل الكفره * ليس له مناضل

* * *

مبارز ما يهب * وضيغم ما يغلب

وصادق لا يكذب * وفارس محاول

* * *

سيف النبي الصادق * مبيد كل فاسق

بمرهف ذي بارق * أخلصه الصياقل

وله يرثي الإمام السبط صلوات الله عليه:

منازل بين أكناف الغري * إلى وادي المياه إلى الطوي

لقد شغل الدموع عن الغواني * مصاب الأكرمين بني علي

أتى أسفي على هفوات دهري * تضاءل فيه أولاد الزكي

ألم تقف البكاء على حسين؟! * وذكرك مصرع الحبر التقي

ألم يحزنك أن بني زياد * أصابوا بالترات بني النبي؟!

وإن بني الحصان يمر فيهم * علانية سيوف بني البغي

ولادته ووفاته

ولد سنة 148 واستشهد ظلما وعدوانا وهو شيخ كبير سنة 246 فعاش سبعا وتسعين سنة وشهورا من السنة الثامنة. يقال: إنه هجا مالق بن طوق بأبيات وبلغت مالكا فطلبه فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس العباسي وكان بلغه هجاء دعبل نزارا فلما دخل البصرة بعث من قبض عليه ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف بالطلاق على جحدها، وبكل يمين تبرئ من الدم إنه لم يقلها، وإن عدوا له قالها، إما أبو سعيد أو غيره ونسبها إليه ليغرى بدمه، وجعل يتضرع إليه ويقبل الأرض ويبكي بين يديه، فرق له فقال: أما إذا عفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك. ثم دعى بالعصا فضربه حتى سلح وأمر به والقي على قفاه وفتح فمه فرد سلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه وهو يحلف: أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله. فما رفعت عنه حتى بلع

سلحه كله ثم خلاه فهرب إلى الأهواز، وبعث مالك بن طوق رجلا حصيفا (1) مقداما وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة فضرب ظهر قدمه بعكاز (2) لها زج مسموم فمات من غد ودفن بتلك القرية. وقيل: بل حمل إلى السوس؟ ودفن بها

(3) وفي تاريخ ابن خلكان: قتل ب (الطيب) وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز. وقال الحموي (4): وبزويلة (5) قبر دعبل ابن علي الخزاعي قال بكر بن حماد:

الموت غادر دعبلا بزويلة * في أرض برقة أحمد بن خصيب

لا يخفى على الباحث أن ترديد ابن عساكر في تاريخه 5 ص 242 بعد ذكر وفاة المترجم سنة 246 وقوله: [قيل: إنه هجا المعتصم فقتله. وقيل: إنه هجا مالك فأرسل إليه من سمه بالسوس] ترديد بلا تأمل، ونقل بلا تدبر، إذ المعتصم توفي 227 قبل شهادة المترجم بتسع عشر سنة. كما أن ما ذكره الحموي في " معجم البلدان " 4 ص 418 من [أن دعبلا لما هجا المعتصم أهدر دمه فهرب إلى طوس واستجار بقبر الرشيد فلم يجره المعتصم وقتله صبرا في سنة 220] خلاف ما اتفق عليه المؤرخون وعلماء الرجال من شهادته سنة 246.

كان البحتري صديقا للمترجم وأبي تمام المتوفى قبله فرثاهما بقوله

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي * مثوى حبيب يوم مات ودعبل

أخوي لا تزل السماء مخيلة (6) * تغشاكما بسماء مزن مسبل

جدث على الأهواز يبعد دونه * مسرى النعي ورمسه بالموصل

قال أبو نصر محمد بن الحسن الكرخي الكاتب: رأيت على قبر دعبل مكتوبا:

---

(1) الحصيف: الجيد الرأي محكم العقل.

(2) العكاز بالعين المضمومة والكاف المشددة: عصا ذات زج في أسلفها يتوكأ عليها.

(3) الأغاني 18 ص 60، معاهد التنصيص 1 ص 208.

(4) معجم البلدان 4 ص 418.

(5) أول حدود بلاد السودان.

(6) خيل السحاب: رعد وبرق وتهيأ للمطر.

أعد لله يوم يلقاه * دعبل: أن لا إله إلا هو

يقولها مخلصا عساه بها * يرحمه في القيامة الله

الله مولاه والرسول ومن * بعدهما فالوصي مولاه

خلف المترجم ولداه: عبد الله وحسين الشاعر، ذكر ابن النديم للثاني منهما ديوانا في نحو مائتي ورقة، وترجمه ابن المعتز في " طبقات الشعراء " ص 193 وذكر نماذج من شعره وقال: الدعبلي مليح الشعر جدا.

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والله المستعان وعليه التكلان

* * *